لسان العرب

(تابع لما قبل)

وفي مادّة (م ض غ — س ٢١) «كل لحمٍ يفصل بينها وبين غيرها عرقٌ فهي مضيغة» والصواب «كل لحمةٍ»

وفي مادة (ن م غ س — ١٤) «والنَّمَغة والنَّماغة ما تحرك من الرَّمَغة» والرَّمَغة لفظةٌ لا معنى لها وصوابها «الرَّمّاعة» بوزن جبّانة وهي ما تحرّك من يأفوخ الطفل قبل ان يشتدّ

وبعد ذلك «والنَّمَغة ما تحرك من رأس الصبيّ المولود فاذا اشتد ذاك ذهب منهُ» والصواب «فاذا اشتد ذهب ذلك منهُ»

وفي مادة (خ ف ف — اول المادة) «الخفة ضد الثقل والرجوعُ يكون في الجسم والعقل والعمل». رُوي «الرجوع» بالعين مرفوعاً عطفاً على «ضدّ» وصوابهُ «الرجوح» بالحاء آخره وبالجرّ عطفاً على «الثقل»

وفي مادة (د غ ف) «دغفهم الحرّ غمَّهم» وبالهامش «قولهُ غمّهم كذا في الاصل باعجام اولهِ وفي شرح القاموس باهمالهِ» اهـ . قلنا وكلاهما غير ما يقتضيهِ المقام والصواب «دَغِمهم» اي غشيهم وبين دغف ودغم تناسبٌ لايخفى على ان المشهور دغم ودغف بالفاء لغة

وفي مادة (ق ر ق ف — في اوائل المادة) «اني لأُقرقف من البرد اي أُرعِد» ضُبِط «ارعد» بكسر العين وكُرّر مثله في السطر التالي والصواب فتحها في الموضعين

وفي مادة (ل ف ف ـ ص ٢٣١)

« اذا ما مات حيٌّ من تميمٍ وسرَّك ان تعيش فجئْ بزادِ »

رُوي « تعيش » بالتآء اوَّلهُ وصوابهُ بالياء التحتية وهو ظاهر

وفي مادة (خ ل ق ـ ص ٣٤٨) أُنشد قول الشاعر

« رَخِّينَ أذيال الحِقِيِّ وارْتَعْنْ مشيَ حمياتٍ كأن لم يُفزَعْنْ

إن يُمنَع اليومَ نسآءٌ يُمنَعْنْ »

ورُوي « رَخَّينَ » في البيت الاول بصيغة فعل الغائبات وصوابهُ « رَخِّينَ » بكسر الخآء على الخطاب بدليل قولهِ « وارْتَعْن » وهو معطوفٌ عليهِ . ومثلهُ قولهُ في البيت الثالث « يُمنَعن » وصوابهُ « تُمنَعن » بالتآء لانهُ خطابٌ لهنَّ

وفي مادة (س ل ق ـ ص ٢٨ س ١٥) « والسُلاق حبُّ بُثورٍ على اللسان » رُوي « حبّ » بترك التنوين على انهُ مضاف و « بثور » بالبآء الموحدة اوَّلَهُ جمع بثر . ولا معنى لاضافة الحب الى البثور كما لا يخفى والصواب « حبٌّ يثور » بتنوين حبّ وبالمثناة التحتية في يثور مضارع ثار

وفي مادة (ض ي ق ـ ص١٧٧ س١١) يقال لايَسَعُني شيءٌ وتَضيَّقَ عنك » رُوي « تضيَّق » هكذا بصيغة تفعَّل الخماسي وصوابهُ « ويَضِيقَ » مضارع ضاق المجرَّد والنصب لوقوعهِ بعد واو المعيّة

وفي مادة (ف و ق ـ ص ١٩٦س٩) « ويقال ما بُلِّتُ منهُ بأَفوَق ناصل » وضُبط « بلت » بضم اولهِ وتشديد اللام الاولى مكسورةً وصوابهُ « بَلِتُ » بفتحٍ فكسر مع التخفيف اي ما ظفرت

وفيها (س ١٥) « وأوفقت بالسهم بالبآء وقيل ولا يقال أفوَقتهُ »
والصواب « لا يقال أوفقتهُ » بتقديم الواو كما هو مقتضى سياق الكلام قبل

وفي مادة (د ك ك ـ ص ٣٠٨ س ١٩ ـ ٢٠) « اختلفوا في الدكان فقال بعضهم هو فُعلان من الدكّ وقال بعضهم هو فعّال من الدكّ » وفي هذا الاخير سهوٌ لا يخفى والصواب « فُعّال من الدكن »

وفي مادة (ن ه ك ـ ص ٣٩١ س ١٧) « ويقال أَنهكهُ عقوبةً اي ابلغ في عقوبتهِ » ضُبِط الفعلان بصيغة الامر وهو غير الصواب وصحة الرواية « أَنهكهُ عقوبةً اي أَبلغَ في عقوبتهِ » . وأنهكهُ هنا لغةٌ في نَهَكهُ الثلاثي كما يتبين صريحاً من عبارة القاموس

وفي مادة (ث م ل ـ في اوائل المادة) « والثُميل جمع ثُملة » ورُوي « الثُمَيل » على مثال رُجَيل وصوابهُ « الثُمَل » بدون يآء مثل غُرَف جمع غُرفة

وفيها (في آخر المادة) « وبنو ثمالة بطن من الأزد اليهم يُنسَب المبرّد » وضُبط « المبرّد » بكسر الرآء المشددة والمشهور فتحها

وفي مادة (ج ل ل ـ ص ١٢٤ س ٧) « بعيرٌ جلٌّ وناقةٌ جِلّة » والصواب « بعيرٌ جلّة » كما يُعلم صريحاً مما تقدم

وفيها (س ١٤) « اغفر لي ذنبي كلّهُ » ضُبط برفع « كلّ » والصواب نصبهُ وهو ظاهر

ورُوي بعد ذلك قولهُ

« كل شيءٍ ما خلا اللهَ جَلَل والمرءُ يسعى ويلهيهِ الامل »

ولا يخفى ان الشطر الثاني غير موزون واذا شدّدنا الهآء من « يلهيهِ » جآء

من بحر الرجز فاختلف وزن الشطرين لان الاول من الرمل على ان هذا بحر سائر القصيدة كما يظهر مما رُوي منها في آخر مادة (ج م ل) . وجاء بالهامش ما نصهُ « قولهُ والمرء هكذا في الاصل ولعلهُ بنقل حركة الهمزة للرآء حتى يستقيم الوزن » اهـ اي حتى تكون صورة اللفظ «والمَرُؤْ يسعى» الخ وحينئذٍ تسكن الهمزة بالضرورة وهو من التجوزات المرفوضة فضلاً عن ان مثل هذا النقل لا يجوز الا في الوقف كما هو مقررٌ في مواضعهِ . ولعل الاشبه ان الاصل « والفتى يسعى . . » والله اعلم

وفي هذه المادة ايضاً (ص ١٢٥ س ١) أُنشد قول الشاعر

« لو ادركتهُ الخيل والخيل تُدَّعَى   بذي نجبٍ ما اقربت واجلَّتِ »

وضُبط « تدَّعى » بصيغة المجهول ولا معنى لهُ هنا والاظهر ان المقصود « تَدَّعِي » بالمعلوم على ان المراد بالخيل الفرسان وهو استعمالٌ مطروق . ومعنى الادّعآء الاعتزآء في الحرب وهو ان يقول انا فلان بن فلان

وفي مادة (ج ه ل ـ ص١٣٧ س ٢١) « الجاهلية الجُهُلآء » وضُبط « الجهلآء » بضمٍّ ففتح وكرّر كذلك بعد سطرين وصوابهُ « الجَهْلآء » بفتح فسكون على حدّ ليلةٌ ليلآء وداهيةٌ دهيآء وما اشبه ذلك

وفي مادة (ز ح ل ـ س ٢٠) « ان لي عندك مَزحَلاً اي منتدَحاً » ووجه الكلام « ان لي عنك » وهو مقتضى السياق كما يشير اليهِ الاستشهاد بعد

وفي مادة (ط و ل ـ ص ٤٤٠ س ١٨) « ولم يحُلَّ منهُ بطائل » ضُبط « يحل » بضم الحآء وتشديد اللام ولا معنى لهُ في هـذا الموضع

والصواب « لم يَحْلَ » بسكون الحاء وفتح اللام مضارع حَلِيَ من باب علم يقال ما حَلِيَ منهُ بطائل ولم يَحْلَ منهُ بخير اي لم يُصِب منهُ خيراً

وفي مادة (ع س ل ـ ص ٤٧٤ س ٢) أُنشد قول الشاعر

« فرِشْني بخيرٍلا اكونَ ومدحتي كناحتِ يوماً صخرةٍ بعسيلِ »

ضُبط « اكون » بالنصب والوجه رفعهُ . وأُنشد بعد ذلك قول الراجز

« رُبَّ ابنِ عمٍّ لسُليمى مشمعلّ طبّاخ ساعات الكرى زاد الكَسِل »

وضُبط « مشمعلّ » هكذا بتشديد آخرهِ وهو مخلٌّ بالوزن والصواب ضبطهُ بالسكون مخففاً (ستأتي البقية)

أهوَل حيوان

﴿ او المثلث القرون ﴾

جاء في احدى المجلات العلمية ما تعريبهُ

ما زال معرض العاديّات الاميركاني يوالي بعثاتهِ العلمية للبحث عن انواعٍ مجهولة من المواليد الثلاثة . وقد وجَّه منذ مدةٍ بعثاً يبحث في طبقات الارض فوُفِّق الى اكتشافٍ بديع فريدٍ في نوعـهِ وهو رأس حيوان من الحيوانات التي انقرضت قبل زمن التاريخ يُعرَف بمثلَّث القرون . وهو اكبر واتم رأس اكتُشف الى الآن فانهُ ذو جمجمةٍ غريبة الحجم تبلغ سبع اقدام ونصف قدمٍ طولاً في خمس اقدامٍ عرضاً . وكان هذا الحيوان فيما يُظَنّ اعظم وأهوَل حيوانات تلك العصور وقد وُجد وانقرض في أثناء العصر الطباشيري وهو على ما يقدّرهُ علماء طبقات الارض من عدة

ملايين من السنين

وقد أُخذ مثال عن هذا الرأس من عجين الورق وعُرِض في معرض بُوفَلُو وهو تامّ الاعضاء ما خلا اطراف قرونهِ فانها مكسورة . وهذه القرون موضوعة الواحد على عظم الانف مثلما في الكركدَّن وهو وحيد القرن والآخران في الجبهة فوق الحِجاجَين وبينهما مسافةٌ عظيمة وهما مسدّدان الى الامام كما يُرَى في بعض قرون الثيران

اما طريقة اكتشافهِ فان البعثة العلمية المذكورة بينما كانت مسافرةً في قصد الوقوع على مثل ذلك انفرد اثنان منها واخذا يتمشيان على شاطئ جدول صغير يشتقّ من المِسّوري على نحو ٣٥ ميلاً الى الشمال الغربي من مدينة ميل سِتي فظهر لهما شبحٌ كمد قد برز منهُ شيء قليل فوق سطح الماء فخالماه لحاهُ لم يكذّبا انهُ رُفات حيوانٍ قديم فبادرا الى فحصهِ وكان غائصاً تحت الرمال والله يعلم كم كان لهُ من القرون هناك

واذ ذاك شرعوا في الكشف عن هذا الرأس وبحث ما حولهُ من الرمال عسى ان يجدوا شيئاً من توابعهِ فلبثوا في هذا العمل اربعة اسابيع قضوها بالجدّ والصبر ولا سيما في اخراج العظام الصغيرة التي كانت مبعثرةً في الرمل بحيث اضطرّوا ان يغربلوا الرمل ليعثروا عليها . واما القطع الكبيرة فبعد ان عالجوها بمحلول من المواد الكيماوية الصقوها في مواضعها ثم غشّوا جميع الراس من ادناهُ واعلاهُ بعدّة طبقات من الجبس الباريزي ليقوا تلك الذخيرة من صدمات الطريق الى نيو يرك فلزمهم لهذا العمل ما يزيد على ٥٠٠ لتر من الجبس وهي كافية لأن يسيَّع بها اربعة جدران غرفة .

و بعد ما رفعوهُ من موضعهِ وجدوا وزنهُ ٥٠٠ كيلغرام فاقتضى جرُّهُ جوادين من اشدّ الخيل قوّةً ليبلّغاه الى اقرب محطة حديدية يمكن نقلهُ اليها

ثم انهُ من منظر الرأس ووضع الاسنان في فكّيهِ ظهر لهم جليًّا انهُ كان من آكلات النبات وكان بلا ريب كثير التخريب والتدمير كالهيبوبوتام وكفيل هذه الايام فانهما من اكبر الآفات على الزراعة الافريقية . الا انهُ لم يكن يمضغ طعامهُ لان شكل اسنانهِ دلّ على انهُ كان يقتصر على خضم العشب والورق والمساليج الرخصة . وعلى ما قدّروا من سائر اعضائهِ لم يكن طولهُ اقلّ من ثمانية امتار وكان ثقلهُ ضعفي ثقل فيل يزن عشرة اوساق اي نحو ٨ آلاف اقة . ومثل هذا الجسم لم يكن يشبعهُ اقل من ١٥٠ الى ٢٠٠ كيلغرام من النبات وهذه الوجبة العظيمة وهي كافية لأن تدمّر دسكرة برمتها لم يكن بدٌّ من تجديدها مرةً بعد اخرى

اما مبلغ مداركهِ فالذي ظهر من نسبة دماغهِ الى سائر جسمهِ انهُ لم يكن من الطبقات العالية فان حجم دماغهِ لم يكن الا بمقدار ما يملأ طاساً من الشاي . ومع ما هو فيهِ من شدة الخلق فانهُ لم يكن شريراً ولا يعتدي على غيرهِ من الحيوان كما ان غيرهُ من الحيوان لم يكن يجسر على اقتحامهِ مع ما كان مسلحاً بهِ من القرون الثلاثة المسدَّدة الى الامام ولذلك فانهُ كان اذا قاتل لا يقاتل الا مدافعاً . وقد رُؤي فيهِ انهُ حين أُخرج من الرمل كان احد قرونهِ محطوماً وهذا الحطم لم يكن حادثاً بعد الموت لان مكسرهُ كان مكسوًّا بطبقةٍ من النسيج تشبه الطبقة التي على القرن السليم . الا ان هذا لا يدل على انهُ كان يحب القتال ولكن

اكثر العلماء على انهُ كان مسالماً ولم يكن يقاتل الا الحيوانات المفترسة ليدفعها عن نفسهِ فيكون قرنهُ قد كُسِر في حالٍ من مثل ذلك . اه

البحتري

لحضرة الكاتب المجيد امين افندي الحداد

(تابع لما في الجزء الثامن)

ولقد قلنا عند ذكر خيالات البحتري انهُ كلما كثر التخيُّل في القول اشتدَّ قربهُ الى جهة الشعر ولذلك يُعدّ وصف البحتري للطيف واستزارته الخيال ارقى مرتبةً من وصفهِ لممدوحيهِ لانهُ كان يمدحهم بما يجدهُ فيهم او بما يسهل تمثُّلهُ وذكرهُ من الصفات الطيبة . واما تخيل المحبوب طيفاً زائراً على صورٍ شتى فمما يقتضي اختلاقاً وابتداعاً ودقة تصور وهذا حين يقترن بتجيد الصنعة يصل بالشعر الى اعلى المراتب ولذا تُعدّ خيالات البحتري من منهضات شعرهِ ومميزاتهِ على سواهُ من الشعرآء حتى أُسندت اليهِ البراعة دونهم

على ان البحتري لم يكن بارعاً فقط في تخيل الطيف ووصفهِ بل كان ايضاً مجيداً محسناً في وصفهِ المنظورات وتشبيهها حتى انهُ لم يكن يرضى لاكثر قصائدهِ ان تكون مرسلة في غرضي التشبيب والمديح فقط بل كان يوجه ذهنهُ الى ابعد من ذلك فيصف شتّى الاشيآء التي يكون ممدوحهُ مختصاً بها كخيله وقصورهِ وحدائقهِ وهذا مما يوشك ان ينفرد بهِ عن سائر الشعرآء بفضل المتوكل الذي امعن في بنآء القصور واقتنآء النفائس حتى الزم شاعرهُ الامعان معهُ في وصفها ولذلك جآءت اوصافهُ لها فوق سائر

ما قيل في بابها وربما كانت تلك القصور في جمالها فائقةً سائر ما بُني في ذاك الزمان لانهُ قيل ان المتوكل انفق على بناء قصورهِ الف الف دينار (اي نحو نصف مليون جنَّاي) ولا يبعد ان يكون قد قُتل بسبب اسرافهِ هذا كما قُتل قبلهُ وبعدهُ كثيرون من الملوك الذين كانوا يجبون اموال الرعية لانفاقها على ذواتهم وذوي عنايتهم. فمن بدائع وصفهِ قولهُ في البركة التي كانت في حديقة المتوكل

تنصبُّ فيها وفود المآء معجلةً ... كالخيل خارجةً من حبل مجريها
كانما الفضة البيضآء سائلةً ... من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حُبُكاً ... مثلَ الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يغازلها ... وريّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم ترآءت في جوانبها ... ليلاً حسبتَ سمآءً رُكّبت فيها
لا يبلغ السمكُ المحصورُ غايتها ... لبُعد ما بين قاصيها ودانيها
يَعُمْنَ فيها باوساطٍ مجنَّحةٍ ... كالطير تنفض في جوٍّ خوافيها
لهنَّ صحنٌ رحيبٌ في اسافلها ... اذا انحططنَ وبَهْوٌ في اعاليها
صُورٌ الى صورة الدُلفين يؤنسها ... منهُ انزوآءٌ بعينيهِ يوازيها

وقولهُ يصف قصراً للمتوكل

فرفعتَ بنياناً كأنَّ منارهُ ... أعلام رضوى اوشواهق صبيرِ
أَزرَى على همم الملوك وغضَّ من ... بنيان كسرى في الزمان وقيصرِ
عالٍ على لحظ العيون كانما ... ينظرنَ منهُ الى بياض المشتري
ملأت جوانبهُ الفضآء وعانقت ... شُرُفاتهُ قِطَع السحاب الممطرِ

وتسير دِجلةُ تحتهُ ففناؤهُ من لجةٍ غمرٍ وروضٍ اخضرِ

وقولهُ يصف القصر الذي بناهُ المعتز بالله وقد دعاهُ الكامل

لما كملتَ رويَّةً وعزيمةً اعملتَ رأيك في ابتناءِ الكاملِ
ذُعِر الحمام وقد ترنم فوقهُ من منظرٍ خَطِرِ المزلَّة هائلِ
رُفِعَت لمخترق الرياح سموكهُ وزهت عجائب حسنهِ المتخايلِ
وكأَنَّ حيطان الزجاج بجوّهِ لججٌ يَمُجْنَ على جنوب سواحلِ
لبستْ من الذهب الصقيل سقوفهُ نوراً يضيء على الظلام الحافلِ
فترى العيون يجلنَ في ذي رونقٍ متلهب العالي انيق السافلِ
اغنتهُ دجلة اذ تلاحق فيضها عن فيض منهمر الرباب الهاطلِ
وتنفست فيهِ الصبا فتعطفت اشجارهُ من حُيَّلٍ وحواملِ
مشيَ العذارى الغيد رُحنَ عشيةً ما بين حالية اليدين وعاطلِ

والذي ينظر الى هذه الاوصاف الرائقة يتمثل لهُ اجمل قصر بنته يد انسان كما انهُ لا يرى فيها اثراً للمبالغة او الاختلاق الذي يقتضيهِ الشعر في هذه المواقف فان ذكرهُ لحيطان الزجاج واكتساء سقوفهِ بالذهب وتمثال الدُلفين في البركة مما نبهت الشاعر اليهِ حقيقة وجودهِ وليس للتخيل الشعري اثرٌ فيهِ كما تتخيل محاسن الجياد كلها مثلاً ويوصف بها جوادٌ واحد.
وعلى هذا يكون البحتري شاعراً ومؤرخاً لانهُ سجَّل مدنية ذاك العصر تسجيلاً لا يبلغهُ المؤرخ الحقيقي ودلنا على عظم ما كانت عليهِ تلك الدولة من ضخامة الملك وجلالة السلطان. وفرط الغنى والتبسط في البذل ولعل العصر الذهبي الذي يطلقهُ الافرنج على مدةٍ من حكم الخلفاء كان ذاك العصر

ولقد قدمنا اننا ما كتبنا هذا الفصل من اجل انتخاب نفائس البحتري فقط واختيار المستحسن من تراكيبهِ ولكننا نظمناهُ بالخصوص من اجل الدلالة على ما ينفرد بهِ عن غيرهِ ولبيان كونهِ شاعراً يضم بمفردهِ شعرآء لاننا لو اردنا جمع كل الاغراض والتصورات والطرائق التي جرى عليها لما امكننا جمعها الا من عدة دواوين بل قد لا يكون في جملة الشعر العربي كل الذي ورد في شعر البحتري وان يكن قد فاتهُ شيءٌ كثير مما نظموهُ كوصفهم الاقلام والدُوِيّ والمُدَى والاقداح واكثرهُ مما لا يستحق النظم لان جمالهُ غير متلائم مع جمال الشعر فهو بذلك اشبه بالاراجيز التي تُعقَد بها العلوم والفنون تسهيلاً لحفظها وتشريفاً لها بالشعر. ولهذا يكون شعر ابي عبادة وحدهُ قائماً مقام الشعر بجملتهِ او يكون حجةً للشعر العربي على شعر كل لغةٍ تنتقصهُ وترميهِ بالتقصير. بل عسى ان يكون الذي نقلناهُ من اوصافهِ وانتخبناهُ من محاسن تشبيهِ مقنعاً يردّ المفتري على الشعر العربي بانهُ ناقص لا يتسع لوصف كل شيء او انهُ مقصورٌ على التشبيب والمديح وذكر بلى الطلل وهزال الناقة. لاننا لو تفقدنا دواوين اليونان والرومان والافرنج ربما لم نجد فيها اوصافاً تفوق الاوصاف التي اخترناها الا ان الافرنج وسواهم انما اشتهروا بالوصف الشعري لانهم ينظمون القصيدة كلها في المعنى الواحد فتمتاز فيهِ كما امتازت قصيدة ابن الفارض في الخمر. اما العرب فكانوا يجمعون في قصائدهم معاني مختلفة ولذلك كانت تمتزج جميعاً فلا يكون بعضها اظهر من بعض حتى يغلب اعتبارهُ فيها او لا يثبت في الذهن منها الا الغرض الاجماليّ الذي سيقت لهُ ابياتها كالمديح والتشبيب

مع ان الناقد لو تفقد ديوان صفي الدين الحلي لامكن ان يجمع من متفرق نظمهِ في الخمر ما هو اكثر من وصف ابن الفارض لها ولا ينحطّ عنهُ في الجودة ولكن ابن الفارض اشتهر دونهُ بذلك لانهُ احتال على الشهرة بجمعهِ لتلك المعاني في مكانٍ واحد . بل ان الصادق النظر يرى ان قصيدةً ينظمها المتنبي في مديح بدر بن عمار ويضمنها وصفهُ المشهور للاسد وقصيدةً يقولها البحتري في المتوكل ويصف فيها قصورهُ بتلك الاوصاف الباهرة لاجمل في عيني الشعر من قصيدة مستقلة ينظمها هوميرس في وصف معركة وذكر ملحمة (ستأتي البقية)

البابا انيقيطس والاب شيخو

(عودٌ على بدء)

كتبنا في العدد السادس من هذه المجلة مقالة اثبتنا فيها نقلاً عن كتب الجزويت انفسهم ان البابا انيقيطس مولود في مدينة اميسة من آسيا الصغرى . فما كان من حضرة الاب شيخو الشهير الا ان افرد للرد علينا صفحة كاملة من مشرقهِ الاغر (٧ : ٩٦) ملأها بالشتائم والمثالب جرياً على عادتهِ في سائر مباحثاتهِ ونعتنا فيها بما سمحت بهِ آدابهُ الجزويتية من الالقاب الشريفة . وبعد ان فرغ من هذه المطاعن التي هي في اصطلاحهِ بمنزلة التحية والسلام ينشرها «لمجد الله الاعظم وخير القريب» انتقل الى البحث العلمي فقال ان البابا انيقيطس ولد في حمص لا في اميسة وان مولدهُ في حمص امر لا ريب فيهِ لورودهِ في الكتاب الحبري وكتاب تاريخ

لبنان المخطوط للاب مرتين اليسوعي وكتاب حديث للمؤرخ لويس برهيار نشرهُ في السنة الماضية . ثم عمد الى تخطئتنا في مقالتنا السابقة وهنا ارتكب متن التزوير والتحريف اثباتاً لدعواهُ الواهنة واختتم نبذتهُ كما ابتدأها بالشتائم والسباب . ولذا رأينا من اللازم اظهار اغلاطهِ وتزييف اقوالهِ بهذه العجالة كي لا يكون حكيماً في عيني نفسهِ ولا في اعين مشايعيهِ الاغرار الذين يتوهمون ان لكلامهِ ظلاً من الصحة فنقول :

(١)

اين وُلد البابا انيقيطس

ان قولنا في المقالة الماضية ان البابا انيقيطس وُلد في اميسة بآسيا الصغرى ليس هو رأينا الشخصي كما اسلفنا هناك بل هو رأي تواريخ بيعتهِ المطولة المثبتة من البابوات انفسهم ورأي كتب جماعتهِ اليسوعيين التي نشرت من مطبعتهم وديرهم ببيروت وتحت ملاحظتهم وادارتهم ومسؤليتهم « باذن غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ثم بمصادقة اصحاب الغبطة الاجلاء بطاركة الطوائف الكاثوليكية في الديار الشرقية »[1] . فاذا كان هذا القول غلطاً كما يزعم فيكونون هم المخطئون ونحن برآء من تبعتهِ لاننا انما نقلناهُ عنهم . والاَّ فليقل لنا على اي الرأيين يريد حضرتهُ ان نعتمد وبأيهما يجب ان نأخذ لاننا ان اخذنا بقولهِ ان البابا انيقيطس ولد في حمص ينقضهُ قول اسلافهِ في مجلة الكنيسة الكاثوليكية نقلاً عن تواريخ البيعة المطولة[2]

(١) انظر مجلة الكنيسة الكاثوليكية الصفحة الثالثة من السنتين الثانية والثالثة

(٢) راجع مجلة الكنيسة الكاثوليكية السنة الثانية ص ٨٩ و٩٠ و٤٧٧

انهُ ولد بأميسة في آسيا الصغرى وان اخذنا بقول اسلافهِ هذا ينقضهُ قولهُ في الرد علينا. بيد اننا اذا تأملنا بعين البصيرة والنقد التاريخي في البراهين التي استند اليها الاب شيخو لاثبات زعمهِ رأيناها واهية ومنقوضة من ذاتها واليك بيان ذلك :

استند (اولاً) الى الكتاب الحبري فقال: « انهُ يذكر ولادة البابا في حمص» (قلنا) ان هذا الكتاب من تواريخ البيعة المطوَّلة التي اعتمد عليها مؤلف الكنيسة الكاثوليكية في مقالتهِ عن البابوات الشرقيين بدليل نقلهِ عنهُ ترجمة القديس تلسفوروس في صفحة ٤٤٥ من مجلتهِ ولكن في قولهِ اي قول صاحب المجلة المذكورة في ترجمة البابا انيقيطس انهُ وُلد في اميسة باسيا الصغرى واغفالهِ قول الكتاب الحبري (بدعوى الاب شيخو) انهُ وُلد في حمص دليلاً واضحاً على احد وجهين اما ان تكون دعوى حضرة الاب مختلقة او على الاقل مُحرَّفة (لان لهُ اليد الطولى في التحريف كما سترى) واما ان يكون كلام الكتاب الحبري عن مكان مولد البابا انيقيطس ضعيفاً او مطعوناً في صحتهِ فاهملهُ كاتب الكنيسة الكاثوليكية واعتمد على ما هو اقوى واثبت واصحّ. ومما يرجح ذلك قولهُ في صفحة ٤٠٢ من مجلتهِ انهُ اهمل الاستناد الى بعض التواريخ البيعيَّة واستند الى غيرها « لبعض اسباب صوابية » . فبقي ان استناد حضرة الاب الى هذا الكتاب ساقط على كلا الوجهين

استند (ثانياً) الى تاريخ لبنان المخطوط للاب مرتين اليسوعي. وهذا الكتاب من الكتب التي لا يُعبأ بها بازآء « تواريخ البيعة المطوّلة » ولا سيما

وانهُ شُحن بالخرافات الصبيانية كما يشهد بذلك القسم المطبوع منهُ . فشهادتهُ اذن ساقطة فضلاً عن انهُ لا دليل يبرّئ الشهادة المنقولة عنهُ من التزوير والتحريف لانهُ اذا كان قد جاز للاب شيخو ان يحرّف كلامنا المنشور بين الملا كما سنذكرهُ أفلا يحرّف ويزوّر كتاباً مخطوطاً ومحفوظاً في مكتبتهِ فقط

استند (ثالثاً) الى كتاب حديث للمؤرخ لويس برهيار نشرهُ في السنة الماضية (قلنا) هل يريد حضرة الاب ان نرفض كتب رهبانيتهِ نفسها وتواريخ كنيستهِ المطوّلة المثبتة من الكرسي الرسولي والبطاركة الاجلاء ونعتمد على هذا المؤلف المحدث ؟ بل هل كانت تواريخ البابوات مجهولة او غير صحيحة حتى اتى هذا المؤرخ « الكبير » واوضحها في السنة الماضية ؟ فان كان هذا رأي حضرة الاب وهو ولا ريب مقتضى صنيعهِ رددنا الامر الى رؤسآء كنيستهِ وعقلائها فهم اولى منا بالرد عليهِ وبيان ما في رأيهِ من الشطط بل من موجبات الخزي والتعنيف . بيدَ انك قد علمت من مقالتنا الماضية ان هذا الاب خلط بين اميسة وآمّسا (حمص) وزعم ان البابا انيقيطس وُلد في حمص وذلك منذ سنتين (المشرق ٥ : ٤٧٨) اي قبل صدور تأليف لويس برهيار بسنة ولذا فمن المحتمل ان يكون هذا المؤرخ قد نقل كلامهُ على وطن انيقيطس عن الاب شيخو نفسهِ في المشرق . ولا تسل حينئذٍ عن اهمية هذه الشهادة وخطورتها

وليس هذا الكاتب الذي نعتهُ الاب « باحد كبار المؤرخين » الا احد هؤلاء المستشرقين الذين يخبطون في تآليفهم الشرقية على غير هدى

ولا دليل لهم الا ما يمر في خاطرهم من الخيال وما يحرفونهُ ويستغلق عليهم فهمهُ من الاقوال . ولا يزال كتبة «مشرق» البدائع يطنطنون بمدحهم والثناء عليهم وما ذلك الا ترويجاً لبضاعتهم وطلباً لمجد انفسهم لانهم معدودون منهم ولذا فكل ما يقال في مدحهم يعود الى حضراتهم الزاهدة في المجد ... هذا فضلاً عن ان الكلمات الفرنسية التي اوردها الاب شيخو من كتاب هذا المستشرق لا تفيد ان البابا وُلد في حمص كما زعم بل تذكر انهُ حمصيّ المحتد فقط وهذه هي ...était Syrien, originaire d'Emèse وتعريبها (كان سوريًّا حمصيّ المحتد) ونحن لم ننكر ذلك وانما انكرنا وننكر ولادتهُ بحمص (استناداً الى تواريخ البيعة وكتب الجزويت) فتأمل براعة حضرة الاب في التعريب والتحريف وانظر رعاك الله كيف جاءت حجتهُ هذه عليهِ لا لهُ

ثم ان لنا من الكلمات الفرنسية التي نقلها الاب شيخو عن هذا المؤرخ الحديث برهاناً جديداً على خطاءِ ووجوب رفض كتابهِ (النفيس) وعدم الوثوق بكلامهِ فانهُ قال عن البابا انيقيطس ان حبريتهُ كانت من سنة ١٥١ – ١٥٨ ولا يخفى ما في هذا الكلام من المجازفة والخطاءِ الذي يبرهن عدم تدقيقهِ . فاننا قد ذكرنا في مقالتنا الماضية (الضياء ٦ : ١٨٠) ان حبرية هذا البابا كانت من سنة ١٥٧ الى ١٦٨ ومن الكتب التي استندنا اليها وقتئذٍ :

(١) مجلة المشرق الكاثوليكية التي يصدرها الاب شيخو (٢ : ٨٥٤) اذ تذكر رسالة كتبها البابا انيقيطس سنة ١٦٧ للمسيح

(٢) كتاب تاريخ الاحقاب تأليف الخوري بطرس الشاعر الماروني تلميذ مدرسة مار سُلبيس الكلية بباريز (ص ١١٨ في سلسلة الاحبار الرومانيين)

(٣) شجرة تاريخية من المسيح الى هذه الايام للعلاَّمة المرحوم المطران غريغوريوس عطآء مطران حمص وتوابعها على الروم الكاثوليك (في جدول الباباوات)

(٤) معجم لاروس الفرنسي (طبعة سنة ١٩٠٣) صفحة ٨٧٢ في كلمة انيقيطس (Anicet)

(٥) معجم السيد بول جُيرّين والموسيو ج . بوفيار لابيّار الفرنسي (طبعة مدينة تور) صفحة ٣٨ في كلمة انيقيطس ايضاً

(٦) معجم ميلسي الطلياني (طبعة مدينة ميلان) صفحة ٦٩ من الاعلام في كلمة انيقيطس ايضاً

(٧) معجم بولياي المشهور في كلمة انيقيطس وفي كلمة بابا

وكل هذه الكتب تنقض زعم مؤرخ الاب شيخو وتثبت قولنا فلينظر القرآء الافاضل مبلغ علم هذا المستشرق بالتاريخ ومبلغ علم الاب المدقق الذي نقل عنهُ ونقض قول مؤرخي بيعتهِ وكتب رهبنتهِ والمعاجم الاوربية لا بل قول مجلتهِ نفسها . واذا كان هذا المؤرخ قد خبط في سنة حبرية البابا ووفاتهِ فلا عجب ان يكون قد خبط وخلط ايضاً في تعيين مسقط رأسهِ ولا غرو اذا نقل عنهُ الاب شيخو بعد ذلك واعتمد عليهِ وسمَّاهُ « احد كبار المؤرخين » فان شبيه الشيء منجذبٌ اليهِ

احد القرآء بحمص

(ستأتي البقية)

استدراك

وردتنا الرسالة الآتية من حضرة السري الالمعي عزتلو احمد بك تيمور فاثبتناها بنصها الفائق

طالعت امس في الضيآء الاخير فصولاً رائقة للاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ذكر بها امثلة من شعر ماماي الرومي طالباً ممن عثر على شيءٍ من اخبارهِ او وقف على نسخةٍ كاملة من ديوانهِ ان يفيدهُ عنها ولما كنت ملماً بشيءٍ من ذلك جئتكم بهذه النبذة راجياً نشرها في مجلتكم ان راقت لديكم فاقول

اما الديوان فتوجد منهُ نسخةٌ كاملة بدار الكتب الكبيرة الخديوية بالقاهرة تاريخ نسخها سنة ١٠٤٦ هجرية وهي غير مرتبة على الحروف مبتدأة بقصيدة بآئية طمست قوافيها بورقة أُلصقت عليها ومطلعها

ما بال قلبك بالغضا يتقلبُ — هل انت مثلي بالعُذَيب

ولعل الساقط معذَّب كما هو المتبادر. واما الناظم فهو محمد بن احمد الرومي الانكشاري المشهور بماماي او مامية بالهآء المهملة وُلد بقسطنطينية سنة ٩٣٠ ونشأ بدمشق ومات بها نهار الاحد ثامن شعبان سنة ٩٨٥ ودُفن بمقبرة باب الفراديس . ترجمهُ الخفاجي في الريحانة ولم ينصفهُ واورد جملة من مختارات شعرهِ فمنها قولهُ

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا — يقول هلموا واسمعوا نص اخباري
فباسمي تسمت قوة البنّ في الملا — ولكنها لم تحكِ اصداغ خمّاري
فمن كذبها قد سوَّد اللهُ وجهها — وعذَّبها بعد الاهانة بالنارِ

وذكرهُ صاحب حديقة الافراح ولم يزد على قولهِ « منشآتهُ البديعة درر واشعارهُ اللطيفة غرر » ثم اورد لهُ مقطوعين . ورأيت لهُ ترجمة لا بأس بها على ظهر الورقة الاولى من ديوانهِ منقولة من تذكرة السيد هاشم الازراري ومنها نقلت تاريخ مولدهِ ووفاتهِ ذكر انهُ نشأ بدمشق وقرأ الادب على العلامة الشيخ ابن الفتح المالكي والنحو على الشيخ شهاب الدين احمد الغزي وفيهِ يقول شيخهُ ابن الفتح

ظهرت لماميه الاديب فضيلةٌ في الشعر قد رجحت بكل علومِ

لا تعجبوا مَن حسن رونق شعرهِ هذا امام الشعر نجل الرومي

وكانت لهُ اليد الطولى في الزجل والموشحات والمواليا خصوصاً في التواريخ ما رأينا ولا سمعنا من نظمها مثلهُ مع الايجاز وحسن السبك وجمع ديوانهُ بنفسهِ وجعل تاريخهُ (وأتوا البيوت من أبوابها) وكان في ابتداء امرهِ عسكريًّا على رأسهِ تاج السلطان بالذهب والفضة وكتب نفسهُ في عسكر الشام الخارجين لحفظ الحاج وحج ثم رجع الى دمشق وادركتهُ حرفة الادب وصحب الفقرآء والادبآء وصار قيّم اهل الشام في فن الزجل بل والمصريين ايضاً فان جماعةً منهم ممن ينظم الزجل وردوا دمشق واجتمعوا بهِ وناظروهُ فكان اميرهم المشار اليهِ واعترفوا لهُ بالفضل والتقدم عليهم . ولما اشتهر شعرهُ وكثر هجآؤهُ خافهُ الامرآء والعلمآء . دخل مرةً سنة ٩٧٥ الى حضرة القاضي محمد چلبي ابن جوى زاده وكنت حاضراً فانشدهُ قصيدة يمدحهُ بها والقاضي يتبسم حتى اتى على آخرها . فسألهُ ما بيدك من الجهات فقال الجهات الست . فتبسم القاضي وقال ما عندك من الدواوين وكتب

الادب قال بعتها وصرفتها في مصالحي . قال ما تطلب مني حتى اجيزك قال ترجمة بالمحكمة الكبرى قال قد وليتك فتولى ترجمة القسام واستمر فيها حتى مات . وكتب اليهِ الشيخ شمس الدين الصالحي الهلالي سنة ٩٨٠

يا فاضلاً نظمهُ كالانجم الزهرِ او مثلُ روضٍ تحلى ناضر الزهَرِ

الى آخرها فاجابهُ عنها انتهى ملخصاً . اما ما توخاهُ الاستاذ الفاضل رزق الله افندي من الاستدلال بالشعر على صفات قائلهِ واخلاقهِ فمما لا نراهُ يؤدي الى المقصود في الغالب وان صح ذلك في مثل ابي فراس الحمداني ومحمود سامي باشا البارودي امير شعراء هذا العصر فهو من قبيل النادر الذي لا يُحكم بهِ وكم رأينا من شعراء ذهبوا في اشعارهم كل مذهب من صنوف الفخر وضروب المحامد ثم قرأنا في اخبارهم ما لا ينطبق على مدعاهم . هذا ابو العتاهية ملأ الدنيا صياحاً ولم يترك باباً من ابواب الزهد الاّ ولجهُ مع انهُ كان طمعاً ابخل ما يكون وهذا ابو الطيّب قائد العسكر في شعرهِ فرَّ من عمامته حينما تعلقت بالشجرة ونشرها الريح توهماً انها علجٌ يتبعهُ واين هو في دعواهُ الكرم وعلو الهمة من انكبابهِ بمجامعهِ على قطعة الذهب ينقرها خلل الحصير حتى « بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ » ولو اردنا التوسع لطال بنا المقال وهو موضوع جليل حبّذا لو تناولتهُ اقلام الكتاب . انتهى

* * *

قلنا وقد جاءنا من حضرة الفاضل رزق الله افندي عبود انهُ بعد ان كتب ما كتبهُ من ترجمة ابن ماماي عثر على فصلٍ في ريحانة الالباء للخفاجي ذكر فيهِ كلاماً عن المشار اليهِ واورد شيئاً من شعرهِ ووعد ان

يبعث الينا بالفصل المذكور مع بعض تعليقاتٍ عليهِ من عندهِ وسنثبت ما يأتينا منهُ بعد نشر بقية الكلام على ديوانهِ

قتيل المحطة

وصف حادثة جرت في هذه الاثنآء في محطة مصر

من نظم حضرة الشاعر العصري نقولا افندي رزق الله

وا رحمتا لمتيَّمْ قضى ولم يتظلَّمْ
لم يُطعَم الشهد يوماً إلاَّ بيومين علقَمْ
كأنهُ كان يرقى الى السمآء بسلَّمْ
وهكذا كل صبٍّ يشقى لكي يتنعَّمْ
أحبَّها ذات وجهٍ كأنهُ البدر إذْ تَمْ
سامتهُ بُعداً وصدًّا حتى رأى الموت أسلَمْ
اتى الى مصر ضيفاً والضيف في مصر يُكرَمْ
اتى بقلبٍ خليٍّ وبات مغرًى ومغرَمْ
وكان ينفق مالاً لم يمتلك منهُ درهمْ
وديعةٌ في يديهِ لربها لم تسلَّمْ
اضاعها لم يفكّر فيها ولم يتندَّمْ
ما بين كأسٍ وراحٍ وبين جيدٍ ومعصَمْ
حتى اذا لاح وجهُ م الافلاس كالليل أسحَمْ
وزال ظلُّ سرورٍ وحلَّ جيشٌ من الهمّْ

الى الرحيل دعاهُ داعٍ فلبّى وصمَّمْ
فوافقتهُ وكانت تخفي الذي ليس يعلمْ
وفي المحطة أبدَت ما كان من قبل يُكتَمْ
قالت لهُ عُذْ الينا متى رجعتَ فتُكرَمْ
فقال لا تحسبيني على بعادكِ أُرغَمْ
فليس يُنكث عهدٌ بيني وبينكِ مُبرَمْ
وكان يرنو اليها وقلبهُ يتضرَّمْ
يرجو وفآءً بوعدٍ منها اليهِ تقدَّمْ
مستعطفاً بدموعٍ فصيحةٍ تتكلَّمْ
كل البلاغة فيها لكنها لا تترجَمْ
فاعرضت عنهُ حتى كأنها ليس تفهمْ
كأنما الحبُّ لغزٌ وذلك اللغز مبهَمْ
ومثلها مَن تلهَّى بمثلهِ وتحكَّمْ
فانكر الصدَّ منها والبعدُ أدهى وأظلَمْ
وسآءهُ سير حبٍّ بالفقر والعار يُختَمْ
وربَّ حبٍّ شقيٍّ نعيمهُ كجهنَّمْ
فلم يجد غير يأسٍ ميمّمٍ حيث يمَّمْ
فاختار موتاً شريفاً والموت في اليأس مَغنَمْ
واطلق النار عمداً برأسهِ فتهشَّمْ
وخرَّ بين يديها كهيكلٍ يتهدَّمْ

بكت وهيهات يجدي دمعٌ تمازج بالدَّمْ
وأقبل الناس هذا يأسى وذا يتبسَّمْ
أقلُّهم لا يبالي وجلُّهم يتهكَّمْ
فقل لكلِّ خليٍّ بالحبِّ لا يتألَّمْ
لا تعذل الصبَّ جهلاً مَن يرحم الناس يُرْحَمْ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — كنت بالامس اطالع في معجم الجزويت المسمى باقرب الموارد فوجدتهُ يقول في مادة (ر ق ص « رقَصَ رقصاً لعِبَ » فراجعت هذا الموضع في القاموس والمصباح فلم اجد تفسير رقص بهذا المعنى . وقال بعد ذلك « الرقص لا يكون الا للاعب وللابل ولما سواها القفز والنفز . . » قال « والمتعارف ان الرقص مشية فيها تفكك وخطران وخلاعة » اه . فقولهُ « القفز والنفز » بحثت في مادة (ن ف ز) فلم اجد فيها هذا المعنى ولا ما يقاربهُ . ثم بحثت في مادة (خ ل ع) عن معنى « الخلاعة » فوجدتهُ يقول هناك « خلُعَ ابن فلان خلاعةً كان خليعاً » . . وقال في تفسير الخليع « الولد الذي ابوهُ خلعهُ » . فمقتضى هذا ان الخلاعة في الرقص من هذا المعنى لانهُ لا يذكر لها معنى آخر فكيف ذلك ثم ما النكتة في قولهِ « الذي ابوهُ خلعهُ » ولماذا قدم لفظ ابوهُ ارجو الجواب على هذه المسائل ولكم الفضل

محمد عبدالواهب
من تلامذة المدارس الاميرية

الجواب — اما تفسيره ُ الرقص باللعب فمما لم نجده ُ لاحدٍ غيرهِ ولم يُسمَع في الاستعمال. لانك لا تقول رَقَصَ بالشطرنج مثلاً اي لعب بهِ . والظاهر انهُ اخذهُ من قول صاحب القاموس « الرقص لا يكون الا للاعب .. » وهي الجملة التي نقلها بعد ذلك ثم عقَّب عليها بقولهِ « والمتعارف ان الرقص مشية فيها تفكك الخ » وكأنهُ فهم من عبارة القاموس ان الرقص معناهُ اللعب فصححهُ بما ذُكر . وانما اراد صاحب القاموس ان الرقص يُستعمَل للاَّعب بمعنى انهُ وثبٌ على توقيعٍ مخصوص يراد بهِ اللعب اي فتقول رَقَصَ اللاعب ولا تقول رَقَصَ الرجل اذا وثب على ظهر دابَّتهِ او وثب من جانب النهر الى جانبـهِ الآخر مثلاً . واما قولهُ « القفز والنفز » فالصواب في الثاني « النقز » بالقاف موضع الفآء . ومن الغريب ان هذه اللفظـة لا تجري على لسان بعض لغويي هذه الايام الا محرَّفة فقد مرَّ في بعض اجزآء هـذه المجلة عن « مفتش اول اللغة العربية » في القطر المصري عن الاب شيخو تصحيفها بالنقر[1] وجآء في هـذا الـكتاب تصحيفها بالنفز فـكانهُ قد قُضي عليها ان تسقط منها نقطة اما من الزاي او من القاف وهو من المضحكات . واما الخلاعـة في المعنى المراد هنا فهي في الاصل مصدر الخليع بمعنى المستهتَر بالشرب واللهو كما في لسان العرب ثم تُوسّع فيها فاستُعملت بمعنى المجون وهو من استعمال الشيء في لازمهِ ونقلها المتأخرون الى معنى التهتك وترك الاحتشام وهو المقصود في هـذه العبارة وهي منقولة عن

(١) انظر ضيآء السنة الخامسة صفحة ٦٢٧ — ٦٢٨

محيط المحيط . واما قولهُ « الذي ابوهُ خلعهُ » فلا معنى لتقديم لفظ ابوهُ بل هو مفسدٌ للمعنى لاقتضآئهِ تخصيص الخليع بالذي خلعهُ ابوهُ لا غيرهُ وهو اعمّ من ذلك كما يتبين من كلامهم

آثار ادبيّة

اسرار النجاح — اهدى لنا حضرة الكاتب الفاضل ابرهيم بك رمزي صاحب جريدة التمدن الغرآء نسخة من مؤلف لهُ بهذا العنوان شرح فيهِ اسباب ترقي الامم ونجاحها والوجوه التي تدرك بها استقلالها وتأمن التقهقر في مجال التنازع العمراني وقفّى على ذلك بفصول في الصناعة والزراعة والتجارة كلها فوائد لمن يتدبر مضمونها ويتعقل ما فيها من الحكمة والسداد. فنثني على همة رصيفنا المشار اليه لما يتوخاه من صادق الخدمة الوطنية ونحث الجمهور على مطالعة هذا الكتاب والاستبصار بما فيه من جليل الفوائد

انيس الجليس — قد بلغت هذه المجلة الانيقة السنة السابعة وهي على ما عُهد فيها من انتقآء المباحث المفيدة ونشر المقالات الرائقة مما اصبحت بشهرتهِ غنيةً عن الاطالة في وصفهِ وتقريظهِ .ولا غرو فقد عُرِفت صاحبتها الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه بعلوّ الهمة وسلامة الذوق والثبات على الاعمال فنثني على حضرتها بما هي اهلٌ لهُ ونرجو لمجلتها زيادة الرواج والانتشار

فكاهات

تأخرت علينا الرواية هذه المرة فرأينا ان نستعيض عنها بشيء من مستملح الاقاصيص العربية ننقلهُ عن تعاليق من خط المرحوم الوالد كان يتشاغل بها في بعض اوقات فراغهِ • وهي ولا ريب تفضل الروايات الموضوعة بانها حوادث واقعية يجمل حفظها والتجمل بها في المحاضرات والمسامرات وليس منها الا ما يتضمن ادباً او عبرة او ضرباً من ضروب الحكمة وان آنسنا لها ميلاً في نفوس القرآء اوردنا منها المرة بعد المرة ما يعذب وروده على الاسماع ولا تثقل مؤونتهُ على الطباع

فمن ذلك ان رجلاً من بني اسد يقال لهُ خزيمة كان يتاجر من البادية الى دمشق بالحبوب والمواشي فجمع مالاً جزيلاً وأقام بها يتعاطى التجارة الحضرية • وكان فصيحاً لبيباً حسن المحاضرة وكان يتردد الى باب سليمان بن عبد الملك من خلفاء بني امية فحظي عنده وتقرَّب منهُ حتى صار من جلسآئهِ وأقام على ذلك مدةً طويلة • ثم سافر الخليفة الى الديار المصرية فاقام بها زماناً ثم تحول الى غزَّة هاشم فمكث هناك وفي اثنآء ذلك اصيب خزيمة في مالهِ وانقلب عليهِ الدهر فافتقر حتى لم يبق عنده شيء من المال فصار يبيع من امتعة بيتهِ حتى لم يبق الا خاتم في يدهِ فباعهُ واشترى بثمنهِ دقيقاً وقال لامرأتهِ ان الله قضى عليَّ بما ترين وانا رجل عزيز النفس لا اتذلل للناس وقد عزمت ان اغلق بابي واحتبس في هذا البيت الى ان يفرغ هذا الدقيق فان فتح الله عليَّ والا مت جوعاً ولا اذل نفسي لسؤال احد من الناس فان شئت فاذهبي الى بيت ابيكِ ودعيني على هذه الحالة• فقالت معاذ الله بل ان عشت اعيش معك وان متَّ نموت جميعاً

وكان الخليفة عند سفره قد أقام نائباً في دمشق يقال لهُ عكرمة بن فياض وكان بعض جيران خزيمة قد اطلع على حالهِ وعرف ما عزم عليهِ فذهب الى عكرمة

وقص عليهِ القصة • فقال لهُ يا رجل ان المصابين بالرزايا كثيرون وان اردنا ان نساعدهم صرنا عن قريب مثلهم وليس من يساعدنا فليتوكل كل مخلوق على خالقهِ فرجع الرجل بالخيبة وقد اثر ذلك في قلبهِ اثراً شديداً • واما عكرمة فلما انتصف الليل اخذ كيساً فيهِ الف دينار وانطلق الى بيت خزيمة وقرع الباب فخرج اليهِ خزيمة وهو لم يعرفهُ وقال ماذا تريد فقال اني قد علمت بما انت عليهِ وفي يديَّ فضلة مال اردت ان تتعلل بها الى ان يفتح الله عليك بغيرها ودفع اليهِ الكيس • فقال خزيمة يا مولاي قد قبلت نعمتك ووجب الشكر عليَّ لله ثم لك فمن انت • قال انا رجل من خلق الله لا يلزمك ان تعرفني • فألحَّ عليهِ اشد الالحاح وهو يتمنع فامسك بهِ وقال لا بدَّ من ذلك فقال لا يمكن ان اصرح لك باسمي ولكن اقول لك اني اخو عثرات الكرام وافلت منهُ وانصرف • فدخل خزيمة بالكيس الى امرأتهِ ودفعهُ اليها وقال ها قد رزقنا الله ببركة طويتك المخلصة وحدثها بحديث الرجل وهو يتعجب من مروءتهِ ويتأوه لعدم معرفتهِ اياه • واما عكرمة فانهُ عاد الى بيتهِ في اواخر الليل فانكرت عليهِ زوجتهُ ذلك الخروج ليلاً واتهمتهُ بالسوء وهو لا يريد ان يخبرها فصار يموه عليها وهي لا تصدق الى ان اشتدت المخاصمة بينهما وكان قد استصحب عبداً لهُ الى بيت خزيمة فدعاه وقال اخبرها بما كان فحدثها بالقصة حتى اطمأنت وخمد غضبها

هذا ولما اصبح خزيمة خرج الى السوق فاشترى ما يصلح بهِ شأن بيتهِ ثم عاد الى ممارسة التجارة فأتاه التوفيق ورجع الى ما كان فيهِ من الميسرة • وحينئذ حدثتهُ نفسهُ بزيارة الخليفة في غزة فذهب الى ان دخل عليهِ فاكرمهُ الخليفة على عادتهِ وباسطهُ واستأنس بهِ وعاتبهُ على انقطاعهِ عنهُ في تلك المدة المستطيلة فاعتذر اليهِ بما جرى لهُ وقص عليهِ القصة بتمامها • فتأسف على مصيبتهِ وسرَّ بصلاح حالهِ وتعجب من مروءة ذلك الرجل وهو يشتهي ان يعرفهُ ليكافئهُ على صنيعهِ ولكن لم يكن الى ذلك سبيل • فأقام خزيمة عنده اياماً ثم استأذنهُ في الانصراف فاعطاه توقيعاً بتحويل نيابة دمشق اليهِ وان يحاسب عكرمة على ما ورد اليه من الاموال السلطانية

فان تأخر عليهِ شيء منها يحبسهُ الى ان يقوم بادائهِ • ولما حضر خزيمة دفع امر الخليفة الى عكرمة فقال سمعاً وطاعة وتولى خزيمة النيابة وامر بمحاسبة عكرمة فانكسر عنده مال جزيل فالقاه في السجن وجعل القيد في رجله الى ان يدفع المال • فأقام على ذلك اياماً وهو لا يستطيع ان يدفع شيئاً ولا يريد ان يعرّف خزيمة بنفسهِ وكانت زوجتهُ تراسله وتحثهُ على ذلك وهو يقول انني لا اريد ان اضيع ثوابي عند الله واجعل ما صنعتهُ لوجههِ الكريم واسطةً لخلاصي من السجن • ولما تمادى الامر عليهِ وثبت زوجتهُ من بيتها حتى دخلت على خزيمة وقالت لهُ يا خزيمة هل تعرف اخا عثرات الكرام • قال لا والله ولكني اشتهي ان اعرفهُ • قالت هو الذي الآن في سجنك وقيدك في رجله • قال وكيف ذلك فقصت عليهِ القصة كما كانت بينهما • فاسرع من فوره الى السجن وعكف على عكرمة يقبل يديهِ ورجليهِ وخلع القيد من رجل عكرمة ووضعهُ في رجله وقال انا احق بهِ منك فعد الى منصبك وانا خادم لك • فقال عكرمة هذا لا يكون ولا بد من انفاذ امر الخليفة • واخيراً خرج بهِ خزيمة من السجن وارسله الى بيتهِ عزيزاً مكرماً وكتب الى الخليفة يخبره بذلك الحديث العجيب فابتهج الخليفة بذلك وكتب اليهِ اني قد اعطيتك نيابة دمشق فلا ارجع فيها واما عكرمة فقد سامحتهُ بما عليهِ من الاموال السلطانية وليكن نائب قطر الشام باسره وانت بعض عماله عليهِ وكان كذلك

* * *

ويقرب من هذا ما حكي من انهُ كان في بغداد شيخ من الفقرآء يقال لهُ الشيخ ابرهيم الواقدي ولهُ صديق مثله من اهل المدينة يقال لهُ الشيخ اسمعيل وصديق آخر من اهل البادية يقال لهُ الشيخ احمد وكانوا يجتمعون في اكثر الاوقات ويتحدثون جميعاً • فلما كان اليوم الذي قبل يوم العيد قالت امرأة الواقدي لهُ يا ابا محمد لا بد ان يحضرنا غداً أناس وليس عندنا ما نكرمهم بهِ فينبغي ان تسعى بشيء من الدراهم • قال نعم وكتب الى صديقهِ الشيخ اسمعيل انهُ اذا كان في يده فضلة مال يرسل لهُ ما شآء الله فما ابطأ الرسول حتى رجع وفي يده كيس مختوم فوضعهُ

بين يديهِ واذا برسالة من صديقه الشيخ احمد يطلب منهُ نفقة للعيد فارسل اليهِ الكيس بختمهِ • ولكنهُ بعد ذلك لم يأمن لسان المرأة وخاف ان يكون ذلك سبباً للخصام بينهما فخرج من بيتهِ وقضى نهاره في المدينة الى المسآء ونام تلك الليلة في الجامع ومن الغد دار ساعةً في المدينة ثم فكر في نفسه ان ما فرَّ منهُ لا بد ان يقع فيهِ اي وقت عاد الى بيتهِ فرجع • فالتقتهُ المرأة بالبشاشة وسألتهُ عن غيبته فاخبرها بالخبر فقالت لهُ قد ألزمت نفسك ما لا يلزم ونحن نحسب ان ما ذهب لم يأت فطابت نفسهُ وقال حياكِ الله من امرأة صالحة• و بينما جلس اذ حضر الشيخ اسمعيل و بيده الكيس مختوماً وقال هذه بضاعتنا ردَّت الينا • فعجب الشيخ الواقدي وقال كيف ذلك • فقال اني حين ارسلت اليَّ لم يكن عندي شيء من المال سوى ما في هذا الكيس فبعثت بهِ اليك واذ لم يبق في يدي شيء ارسلت اطلب من صديقنا الشيخ احمد لعل عنده فضلة مال فعاد الرسول من عنده بالكيس فكيف وصل اليه • قال انهُ عند وصوله اليَّ حضرتني منهُ بطاقة يطلب نفقة للعيد وكان الكيس قد بقي مختوماً فارسلتهُ اليهِ • ولما كان الكيس قد دار على الثلاثة و بقي مختوماً لم يتناول احد منهم درهماً استحضر الواقدي الشيخ احمد وفتح الكيس وتقاسموه لكل واحد ثلاثمائة درهم واعطوا امرأة الشيخ الواقدي المائة الباقية• وكان ذلك في ايام الخليفة المأمون فبلغهُ الخبر فارسل لهم الف دينار وامرهم ان يتقاسموها كذلك فاخذ كل واحد منهم ثلاثمائة دينار وامرأة الواقدي مائة دينار

⁂

وحكي عن معن بن زائدة الشيبـاني احد اجواد العرب المشاهير انهُ كان في اول امره من سوقة الناس ثم رزق التوفيق فارتقى الى ان صار امير العراق• وكان في زمن الخليفة المنصور العباسي فغضب عليهِ لوشاية سعي بها اليهِ فاراد قتلهُ • وكان معن يومئذ في بغداد فانذره صديق لهُ فاختفى عنده في بيتهِ وطلبهُ الخليفة فلم يظفر بهِ• و بعد فراغ جهده نادى ان من اتاه به يعطى مئة دينار فصار ذوو الطمع يبحثون عنهُ ولا يهتدون اليهِ • ومكث معن في مختبئهِ الى ان ضجر وضاق صدره فعزم على

الفرار وكان ابيض اللون فصار يجلس يستقبل الشمس بوجههِ حتى لذعتهُ فاسمرَّ ثم استحضر ثياباً من ملابس العرب و بعيراً فلبس تلك الثياب وركب البعير وتلثم وخرج والناس في صلاة الجمعة حتى انتهى الى باب المدينة وكان يخشى ان يعترضهُ احد الواقفين عليهِ فلم ينتبه لهُ احد وخرج منهُ الى الطريق وهو قد اطمأن الى النجاة • فما ابعد عن الباب الا مسافةً قصيرة حتى اخذ رجل بخطام بعيره وقال انزل يا معن • فقال ما لك يا رجل • قال انت معن بن زائدة فانزل الى مقابلة الخليفة • فحلف لهُ انهُ ليس بمعن ولا يعرفهُ فلم يصدق واذ كان لا يزال قريباً من الجنود اضطرَّ ان ينزل ثم قال لهُ يا رجل صدقت انا معن واني اعلم انك طامع في المئة الدينار وانا قد بقي معي هذا العقد وهو يساوي عشرة آلاف دينار فخذه وخلِّ سبيلي ولا تجعل دمي في عنقك• فقال الرجل يا معن انت الرجل المشهور في الكرم• قال الناس يقولون ذلك • فقال هل اعطيت مرةً نصف مالك قال لا • قال هل اعطيت ثلثهُ قال لا • قال فربعهُ قال لا • فما زال يتدرج الى عشر مالهِ فاستحى ان لا يزال يقول لا فقال قد اكون فعلت ذلك • فقال انا جندي اعيش انا واهل بيتي من رزق الخليفة وهو عشرون درهماً في الشهر وقد تركت الدنانير التي آخذها من الخليفة عليك وسمحت لك بهذا العقد فاركب بعيرك وانطلق بالسلامة • فقال معن لا والله لا اسير خطوة ما لم تقبل هذا العقد مني • فقال وانا والله لا ادعك تمشي خطوةً ما لم تأخذ عقدك وتقطع هذا الحديث • فركب معن بعيره واثنى على الرجل وانطلق ينهب الارض حتى دخل بين قبائل العرب واختفى هناك

وكان في تلك الايام قد حدثت فتنة بين العرب والخليفة ووقعت بينهم عدة وقائع فشل فيهِ عسكر الخليفة فلما تمادى الامر على ذلك ركب الخليفة و باشر الحرب بنفسهِ فالتقى الجيش بالجيش وانتشب القتال بينهم وكان معن قد خرج مع العرب وتقدم حتى صار بازآء الخليفة المنصور واذا رجل من العرب قد هجم على الخليفة واهوى بالسيف عليهِ فاقتحمهُ معن وضربهُ بالسيف فقطع يده وافرج عن الخليفة • فقال الخليفة حياك الله يا رجل من انت قال انا معن بن زائدة الذي

يريد الخليفة قتله • فقال لا عاش من يقتلك عليك الامان • فانحاز معن الى معسكر الخليفة وجاهد معهُ في القتال فكانت النصرة على يده لانهُ كان في الشجاعة كما كان في الكرم والحلم و بعد رجوعهِ الى بغداد اعاده الى امارة العراق وانعم عليهِ انعاماً جسيماً • ولما استقرَّ معن في امارتهِ وخلا بالهُ لم يكن لهُ هم الا البحث عن الجندي الذي اعترضهُ في الطريق لكي يكافئهُ على صنيعهِ فلم يظفر به وكان يجتهد في ذلك مدة حياته ولا يتيسر لهُ فكانت حسرة في قلبهِ حتى مات

⁂

ومن مستملح الاحاديث ما حكي عن الامام الشافعي انهُ اراد السفر الى مصر بقصد افادة الناس لوجه الله فاخذ الكتب التي يحتاج اليها للتدريس وركب جواده وسار • و بينما هو سائر صادف رجلاً ماشياً في الطريق فسألهُ الى اين يذهب فقال الى مصر فقال انت رفيقي في هذا السفر فلنسر على بركات الله • ولما قطعا مسافةً شعر الامام بان الرجل قد تعب من المشي فترجل وامره بالركوب فركب ومشى الامام قدامهُ ثم ترجل الرجل فركب الامام وصارا يتعاقبان كذلك في جميع ذلك السفر وحيثما ادركهما المسآء ينزلان فيبيتان معاً والامام يحاسب عنهُ وينفق عليهِ • ولما وصلا الى مدينة القاهرة كانت نوبة الرجل في الركوب فلم يترجل ودخل راكباً والامام يمشي بين يديهِ حتى وصلا الى الخان فترجل وحينئذ تقدم الامام ايربط الفرس و يأخذ خرج الكتب فدفعهُ الرجل وقال ما لك وللفرس انا اربط فرسي حيثما اريد • فقال الامام ما هذا يا فلان وماذا عرض لك فقال من انت يا رجل فاني لا اعرفك • فقال الامام قد سمحت لك بالفرس فاعطني خرج الكتب التي كابدت هذا السفر لاجلها فقال الفرس فرسي والخرج خرجي فماذا لك عليهما • فجزع الامام جزعاً شديداً لان الفرس في يد الرجل وليس للامام بينة على انها لهُ فجلس ناحيةً منكسر القلب• و بينما هو كذلك مرَّ بهِ رجل من اكابر المدينة فرأى عليهِ ابهة الكرامة فسألهُ عن امره فقص عليهِ القصة • فانطلق بهِ الى القاضي ودخل قدامهُ وقال هذا الامام محمد بن ادريس الشافعي يريد الدخول

عليك . فوثب القاضي الى استقباله وقبل يده واجلسهُ في مكانهِ وجلس بين يديهِ ثم سألهُ عما اتى فيهِ فاخبره فقال يا مولاي انت تعلم بانك والحالة هذه لا سبيل لك على الرجل شرعاً . فقال الرجل الذي اتى بهِ ان اذن لي المولى فانا اتولى امر هذا الخائن فليأمر باحضاره الى هنا . فارسل القاضي واحضره الى المحكمة فادخله الرجل الى مكان واخذ بيده سوطاً وسقط عليهِ كعارض المطر وهو يقول يا عدو الله قل لي لمن الفرس . فاعترف انها للامام واذ ذاك ارسل فاتى بها و بالخرج وسلمهما الى الامام وحكم القاضي بطرد الرجل عن المدينة من يومهِ

☆☆☆

ويحكى عن زيد بن الجون المعروف بأبي دلامة ان ابنهُ دلامة مرض في بعض الايام فاستدعى لهُ الطبيب وكان مرضهُ شديداً فشارطهُ على خمسمائة درهم واخذ في علاجهِ حتى شفي . و بعد ذلك حضر الطبيب يطلب الدراهم وكان ابو دلامة فقيراً فقال اني والله لا املك خمسة دراهم وانما ارتضيت باشتراطك لشدة الحاجة . فقال الطبيب وانت تعلم ان هذه صناعتي التي اعيش بها فلا استطيع ان اترك المال . فتحاورا ساعة ورأى ابو دلامة ان لا بد من ذلك فقال لهُ ان اليهودي فلاناً عنده مال كثير لا حاجة لهُ بهِ فانت تدّعي عليهِ بهذه الدراهم عند القاضي ومتى طلب منك البينة احضر انا ودلامة ونشهد لك . فارتضى الطبيب بذلك وذهب على هذا الوجه . وكان القاضي يومئذ الشيخ عبدالله بن شبرمة فاتاه الطبيب وادعى على اليهودي بخمسمائة درهم فاستحضر القاضي اليهودي وسألهُ عن الدعوى فانكر انكاراً شديداً وحلف بالاقسام العظيمة انهُ لا يعرف المدعي ولا سمع بهِ البتة . فطلب البينة من الطبيب فاحضر ابا دلامة وابنهُ فشهدا لهُ بصحة الدعوى . وكان القاضي قد ارتاب في المسئلة ولم يطمئن الى شهادة ابي دلامة لعلمه انهُ غير ثقة فضرف الشاهدين وجمع ما معهُ حينئذ من الدراهم وكان عنده جماعة من اهل الصلاح فاستتم منهم الباقي لمطلوب الطبيب ودفعهُ اليهِ وقال لليهودي لا شيء عليك فانصرف